# درس بعنوان: شرح رسالة كشف الشبهات (الدرس الرابع)

## لفضيلة الشيخ الدكتور/ عبد العزيز بن أحمد البداح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين قال المؤلف غفر الله له ولشيخنا والحاضرين: (وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحجج)

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعد..

فيقول المؤلف رحمه الله وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وحجج، العلم علمان علم نافع وعلم غير نافع جاء عند أحمد وأبي داود أن النبي ﷺ كان إذا أصبح قال: (اللهم إني أسألك علمًا نافعًا) وجاء في صحيح مسلم أن النبي ﷺ كان يقول: (اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع) أهل العلم لهم أربع صفات الأولى تحقيق التوحيد قال سبحانه ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ ...﴾ [آل عمران:١٨] الصفة الثانية تحقيق الإيمان بالله قال تعالى ﴿... وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا ...﴾[آل عمران:٧] الصفة الثالثة الخشية وهي أخص من الخوف لأنها تكون عن علم بالمخشي منه كما قال سبحانه ﴿... إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ...﴾[فاطر:٢٨] الصفة الرابعة الخشوع لله والتواضع لعباده قال سبحانه ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا * وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا * وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾[الإسراء:١٠٧-١٠٩] العلم غير النافع هو العلم الذي يكون وبالًا على صاحبه لأنه تجرد من النية الصالحة والمقصد الحسن فهو طلب العلم لغير الله تعالى وقد جاء في الصحيحين (أن أول من تسعر بهم النار ثلاثة وذكر منهم قارئ للقرآن وفي رواية عالم يؤتى به فيعرفه الله نعمته فيعرفها فيقول ما صنعت فيقول تعلمت العلم فيك فيقول الله كذبت وتقول الملائكة كذبت إنما تعلمت ليقال عالم وفي رواية ليقال قارئ ثم يؤمر به إلى النار) وجاء عند أبي داود وغيره (أن من تعلم علمًا مما يبتغى به وجه الله لا يريد به إلا الدنيا لم يجد رائحة الجنة) ولهذا ينبغي لطالب العلم أن يتفقد نيته وأن يصلح قصده وأن يكون قصده من العلم وطلب العلم وجه الله عز وجل والدار الآخرة فإن لم يكن قصده كذلك فإن هذا العلم يكون سببًا لهلاكه وزيغه في الدنيا وسببًا لعذابه في الآخرة، وقد

ذم الله عز وجل الذين ينتسبون إلى العلم في الظاهر وهم ليسوا من أهله في الباطن فقال سبحانه ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ...﴾[الأعراف:١٧٥-١٧٦] فالله عز وجل هنا شبه من يؤتى العلم لكنه ينسلخ منه ويتجرد منه شبهه بالكلب اللاهث هو أخس أنواع الكلاب فهو يلهث دائمًا في حال ريه وعطشه في حال راحته وتعبه يمد لسانه، وهكذا المنتسب للعلم في الظاهر وهو ليس من أهله في الباطن يمد لسانه يلغ في مستنقعات الضلال والفساد والدعوة للشرك والبدعة وسائر أنواع الفساد، وشبه الله عز وجل الذين ينتسبون إلى العلم في الظاهر لكنهم ليسوا من أهله في الباطن شبههم الله عز وجل بالحمير فقال سبحانه ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[الجمعة:٥] شبههم الله عز وجل بالحمار في جهله وبلادته حتى وإن أوتوا الكتب وتزينوا بها لكن بواطنهم عارية من الإيمان والخشية والخوف والتوحيد، وقد جاء أن في آخر الزمان يكثر هؤلاء يكثر القراء ويقل الفقهاء جاء عند الحاكم أن النبي ﷺ أنه قال: (إنكم في زمن كثير علماؤه قليل خطباؤه وإنه سيأتي عليكم زمان كثير فيه خطباؤه والعلماء فيه قليل) ولهذا ينبغي للإنسان أن يحذر أن يدخل عليه الشيطان فيفتنه من طريق العلم ولهذا جاء عن السلف التحذير من فتنة العالم، فقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في اقتضاء الصراط المستقيم وكذا ابن القيم في إغاثة اللهفان ونسب هذا القول لسفيان بن عيينة وغيره من السلف أنه قال: من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى، وذلك أن الله عز وجل ذم المغضوب عليهم والضالين كما في سورة الفاتحة ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾[الفاتحة:٦-٧] المغضوب عليهم هم الذين علموا ولم يعملوا والضالون هم الذين عملوا بجهل، ولهذا ينبغي للمسلم أن يحذر من فتنة العالم ومن فتنة العابد وقد جاء عن بعض السلف أنه قال: تعوذوا بالله من فتنة العالم الفاجر والعابد الفاجر فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون، وجاء أن أيوب السختياني رحمه الله قال: لا خبيث أخبث من قارئ فاجر، وهؤلاء القراء تعظم بهم الفتنة في آخر الزمان وقد جاء عند الإمام أحمد أكثر منافقي أمتي قراؤها يعني الذين يقرؤون لكنهم متجردون من العلم على الحقيقة ولا ينتسبون إلى العلم في الباطن وإن تزيوا بزي أهله، ولهذا هؤلاء القراء أو الذين يتزيون بزي أهل العلم في الظاهر وهم متجردون منه في الباطن هؤلاء سبب من أسباب الضلال وفتنة الناس عن الحق وقد ذكر أهل العلم في ما ذكروا

أن الراوندي وهو متهم بالزيغ والإلحاد أنه كان يلقن اليهود الحجة في عدم جواز النسخ ويقول لهم قولوا أن موسى عليه السلام أمرنا بذلك، وذكر أيضًا بعض المؤرخين أن من هؤلاء من صنف في إباحة السماع وإباحة النظر إلى المرد بل إن ابن حجر في لسان الميزان ذكر أن أحدهم صنف كتابًا في إباحة الخمر وقال ابن حجر بعد إيراد هذا قال: كنت أظن أنه لا أحد من المسلمين يستجيز ذلك، المقصود من هذا أن ما ذكره الشيخ هنا هو فتنة الذين يلبسون لبوس العلم ويتزيون بزي أهله في الظاهر لكنهم في الباطن ليسوا كذلك، والشيخ رحمه الله كسائر المصلحين قبله وبعده عانى من هؤلاء فإن هؤلاء تجاوزوا ما ذكرته لك قبل قليل تجاوزوا إلى تسويغ الشرك وإلى الدعوة إلى الشرك وإلى تزيين الشرك وإلى تحبيذه في النفوس.

(وقد يكون لأعداء التوحيد علوم كثيرة وكتب وحجج كما قال تعالى) وكتب لكن هذه الكتب لا تنفعهم فإن الله عز وجل قص ما كان من بني إسرائيل ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[الجمعة:٥] لكن هذه الكتب لا تنفع إذا لم يكن معها نية صادقة وإرادة خالصة لله تعالى وإذا لم يكن معها خشية وخوف لله تعالى فإنها لا تنفع صاحبها، وحجج لكن هذه الحجج هي حجج واهية وشبهات ضعيفة لأن الله عز وجل حكم ببطلان حجج أهل الباطل فقال سبحانه ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ ...﴾[الشورى:١٦] الحجة هي في كلام الرسل وأتباعهم كما قال سبحانه عن إبراهيم ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ...﴾[الأنعام:٨٣] والله عز وجل قطع الحجة عن العباد بإرسال الرسل كما قال سبحانه ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ...﴾[النساء:١٦٥] ولهذا فما يشيره أهل الباطل ودعاة الضلال من شبهات تتضمن الدعوة إلى الشرك والتنفير من التوحيد إنما هي شبهات داحضة وليست هي حجة على الشريعة في بيانها ووضوحها.

(قال تعالى ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ...﴾[غافر:٨٣]) وهذا من علامات العلم غير النافع أنه يحمل صاحبه على الإعجاب بنفسه والغرور بما لديه وهذا مناف لأصل العبودية فإن أصل العبودية تقتضي التواضع لله تعالى والتطامن لأمره سبحانه.

(إذا عرفت ذلك وعرفت أن الطريق إلى الله لابد له من أعداء قاعدين عليه أهل فصاحة وعلم وحجج) وهذا سبق بيانه في الدرس الماضي عند قول المؤلف رحمه الله تعالى لما أورد قوله سبحانه ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا

...﴾[الأنعام:١١٢] وهؤلاء دعاة الضلال والداعون إلى الباطل هؤلاء لا ينقطعون بل هم باقون إلى قيام الساعة يناوئون دعوة الرسل ويقفون في كل مرصد ترصدًا لأهل الحق ولهذا ينبغي للإنسان أن يوطن نفسه على مثل ذلك.

(إذا عرفت ذلك وعرفت أن الطريق إلى الله لابد له من أعداء قاعدين عليه أهل فصاحة وعلم وحجج) أهل فصاحة الفصاحة والبيان والبلاغة ليست دليلًا على صحة كلام المتكلم ولهذا جاء عند أحمد أن النبي ﷺ قال: (أخوف ما أخاف على أمتي منافق عليم اللسان) وكان كثير من دعاة الباطل والضلال في التاريخ كانوا أهل بلاغة وفصاحة وبيان، الجهم بن صفوان وهو رأس الجهمية ومؤسس هذه البدعة الكلامية كان موصوفًا بأنه فصيح اللسان، واصل بن عطاء مؤسس مذهب المعتزلة على قول قيل في ترجمته البليغ الأفوه، أحمد بن أبي دؤاد رأس المعتزلة في زمانه كان شاعرًا بليغًا فصيحًا، وهكذا كثير من رؤوس الضلال ودعاة الباطل يؤتون الفصاحة اختبارًا للناس وامتحانًا لهم، وقد يكون داعية التوحيد عيي لا يفصح في الكلام لكن معه كتاب الله عز وجل وسنة رسوله.

(فالواجب عليك أن تتعلم من دين الله ما يصير لك سلاحًا تقاتل به هؤلاء الشياطين) ولهذا لا يمكن للإنسان أن يدعو إلى التوحيد إلا إذا كان عنده علم ولا يمكن أن يكشف شبهات المشركين إلا إذا كان عنده علم ولا يمكن أن يتحصن من دعاوى أهل الإفساد والفساد إلا إذا كان عنده علم فمن أوتي العلم فقد أوتي خيرًا كثيرًا.

(هؤلاء الشياطين الذي قال إمامهم ومقدمهم لربك عز وجل ﴿... لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ * ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾[الأعراف:١٦-١٧]) هذا كلام إبليس لرب العالمين قال قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي يعني أهلكتني لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ لأجلسن لهم والتعبير بالقعود فيه إشارة للملازمة والتربص وأنه لا يزال بالعباد حتى يصرفهم عن دينهم ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ يعني أصرفهم عن شأن الآخرة وَمِنْ خَلْفِهِمْ يعني يقوي رغبتهم في الدنيا وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ يعني أكسلهم عن الحسنات والطاعات وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ يعني أدفعهم إلى السيئات والمعاصي، وابن القيم رحمه الله في مدارج السالكين ذكر أن للشيطان على ابن آدم سبعة مداخل المدخل الأول الكفر والمدخل الثاني البدعة والمدخل الثالث كبائر الذنوب والمدخل الرابع صغائر الذنوب والمدخل الخامس التوسع في المباحات والمدخل السادس الاشتغال بالمفضول عن الفاضل والمدخل السابع تسليط جنده وأوليائه وأتباعه على ابن آدم، فالشيطان

إن لم يدخل على العبد من باب الكفر دخل عليه من باب البدعة فإن لم يكن فمن باب كبائر الذنوب فإن لم يكن فمن باب الصغائر فإن لم يكن دعاه إلى التوسع في المباحات فإن لم يكن أشغله بالمفضول عن الفاضل فإن كان من أهل الإيمان والتوحيد ودعاته سلط عليه جنده وأتباعه وأولياءه ليصد الموحد عن دعوته، ثم قال الله عز وجل وَلا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ وقد قال الله في آية أخرى ﴿... وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾[سبأ:١٣] وقد جاء في آيات كثيرة في القرآن بيان أن أكثر الخلق لا يؤمنون فقال سبحانه في مواضع من كتابه ﴿... وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يُؤْمِنُونَ﴾[غافر:٥٩] وفي آية الشعراء في أكثر من موضع ﴿... وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[الشعراء:٨] وفي آية أخرى ﴿وَإِنْ تُطِعْ أَكْثَرَ مَنْ فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ...﴾[الأنعام:١١٦] وفي آية أخرى ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[يوسف:١٠٣] وفي آية أخرى ﴿... وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ بِأَهْوَائِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ ...﴾[الأنعام:١١٩] وهل لمعرفة هذا فائدة؟ نعم، سبق أن ذكرت لك في درس مضى أن مهمة الأنبياء وواجب أتباعهم البلاغ والبيان والبلاغ والبيان والوقوف بعد ذلك، لماذا؟ لأن هداية الخلق وإدخال الإيمان في قلوبهم ليس إلى الأنبياء ولا إلى أتباعهم وقد قال الله عز وجل لنبيه ﷺ وهو سيد الخلق وأكرم الناس ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ ...﴾[البقرة:٢٧٢] وقال في الآية الأخرى ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ...﴾[القصص:٥٦] فيوطن الداعية نفسه على أن أكثر الخلق لا يؤمنون ما الواجب عليه الواجب عليه عرض دعوة الحق وبيان الحق وتبليغ الحق فإذا قام بهذا كان من أتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام.

(ولكن إذا أقبلت على الله وأصغيت إلى حججه وبيناته) إذن لابد من الإقبال على الله والإقبال على الله بتصحيح النية وتجريد القصد والإقبال على الله عز وجل بسؤاله الهداية والاستقامة والإقبال على الله عز وجل بلزوم الطريق المستقيم والثبات على الجادة والإقبال على الله بالصبر على ذلك كله، وأصغيت إلى حجج الله وبراهينه ولهذا من أراد أن يدرك شبهات المشركين والرد عليها فلينظر إلى كتاب الله عز وجل ففيه الهدى والنور وسيأتي معنا بعد قليل مزيد إيضاح لذلك.

(ولكن إذا أقبلت على الله وأصغيت إلى حججه وبيناته فلا تخف ولا تحزن ﴿... إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[النساء:٧٦]) فلا تخف ولا تحزن الله عز وجل وعد أهل الإيمان بأنهم لا يخافون ولا يحزنون لا في الدنيا ولا في الآخرة ولهذا في آيات كثيرة يقول سبحانه ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[الأحقاف:١٣] ﴿أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ

يَحْزَنُونَ﴾[يونس:٦٢] ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلا تَحْزَنُوا ...﴾[فصلت:٣٠] ولهذا أهل التوحيد ودعاة الإيمان لا يخافون ولا يحزنون لا يخافون من مكر أعدائهم ولا تربصهم بهم ولا يحزنون على ما يرونه في الأرض من الإعراض عن دين الله تعالى، ثم ذكر الشيخ هنا قوله عز وجل ﴿... إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[النساء:٧٦] لابد أن يعلم المؤمن والموحد أن كيد الشيطان وأتباعه وأولياءه وجنده أن كيدهم ضعيف كما قال سبحانه ﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ...﴾[النساء:٧٦] فهم يستمدون قوتهم من الله القوي العلي الغني الظاهر القاهر القادر ﴿... وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ ...﴾[النساء:٧٦] فالذين كفروا يستمدون ضعفهم وهوانهم وعجزهم وفقرهم وفاقتهم من الشيطان ثم أكد الله عز وجل ذلك فقال سبحانه ﴿... إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾[النساء:٧٦] وضعف كيد الشيطان أكده الله عز وجل في هذه الآية بثلاثة مؤكدات، المؤكد الأول إن والمؤكد الثاني كيد فإن الكيد هو إفساد الحال بالاحتيال وهذا لا يكون إلا من ضعيف، المؤكد الثالث كان يعني منذ كان كيد الشيطان وهو ضعيف فتلخص من هذا أن الله عز وجل يطمئن المؤمنين بأن كيد الشيطان وتربص أتباعه ومكر جنده ورسله أنه ضعيف، وقد أكد الله عز وجل ذلك بثلاثة مؤكدات المؤكد الأول إن والمؤكد الثاني الكيد والكيد هو إفساد الحال بالاحتيال وهذا لا يكون إلا من ضعيف، والمؤكد الثالث كان يعني منذ كان كيد الشيطان وهو ضعيف، يخبر الله تعالى في آيات كثيرة عن ضعف الشيطان والطاغوت وكل ما عبد من دون الله تعالى وقد أكثر الله عز وجل من ضرب الأمثلة على ذلك حتى يقطع التعلق بهذه المعبودات لأن الناس في الغالب إنما يتعلقون بهذه المعبودات استمدادًا للقوة وطلبًا للقدرة فالله عز وجل أكثر في القرآن من ضرب الأمثلة على بيان ضعف هذه المعبودات وعجزها وفاقتها قال عز وجل ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ يعني الأصنام والمعبودات من دون الله وَالْمَطْلُوبُ يعني الذباب﴾[الحج:٧٣] فإذا كان الله عز وجل شبه المعبودات بهذا المثل وذكر سبحانه الذباب وفيه الإشارة لمهانته ووضاعته وقذارته حتى يبين ضعف هذه المعبودات، فما ظنكم بمن يدافع عن هذه المعبودات أو يدعو إلى عبادتها أو يحسن للناس فعل ذلك، وأخبر الله عز وجل في آية أخرى عن ضعف المعبودات من دون الله وعجزها وهوانها وفاقتها فقال سبحانه ﴿مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنْكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[العنكبوت:٤١] ضرب الله عز وجل مثلًا بالذين يلجؤون لهذه المعبودات من دون الله شبههم بمن يأوي إلى بيت العنكبوت وبيت العنكبوت

من أوهن البيوت والوهن فيه معنى الحقارة وفيه معنى الخسة وفيه معنى الدناءة فإذا كان هذا حال هذه المعبودات من دون الله عز وجل فكيف حال من يعبدها أو يقصدها أو يدافع عنها أو يدعو إلى عبادتها، ضرب الله عز وجل مثلًا في القرآن على عجز هذه المعبودات من دون الله وحقارتها وفاقتها وعجزها وأنها لا تملك قال سبحانه في سورة النحل ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ...﴾[النحل:٧٥] وتأمل كيف وصف الله عز وجل هذا العبد فقال عبد ثم وصفه بأنه مملوك على أن العبودية كافية في إثبات أنه مملوك لكن الله عز وجل أراد أن يؤكد أنه لا يملك شيئًا ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ ...﴾[النحل:٧٥] فهو لا يقدر ولا يملك هذا مثل المعبودات من دون الله في ضعفها وعجزها وفاقتها وفقرها فهي لا تملك ولا تقدر ﴿... وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا ...﴾[النحل:٧٥] وهذا مثل في كمال غناه سبحانه وملكه ﴿... هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾[النحل:٧٥] ثم ضرب الله عز وجل مثلًا آخر ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ ...﴾[النحل:٧٦] وهو الأخرس الذي يولد وهو لا يتكلم ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهُّ لا يَأْتِ بِخَيْرٍ ...﴾[النحل:٧٦] هنا وصف الله عز وجل هذا الرجل بأنه أبكم يعني أخرس يعني لا يَفهم ولا يُفهِم وهو كل على مولاه يعني عالة على كفيله، أينما يوجهه لا يأت بخير هذا حال المعبودات من دون الله فما ظنكم بمن يتعلق بها أو يعبدها أو يدافع عنها أو يدعو إلى عبادتها، ولهذا ينبغي للمسلم أن يتأمل ما ضربه الله عز وجل من هذه الأمثال حتى يوقن في قلبه بضعف هذه المعبودات وعجزها وفاقتها، وإذا كانت كذلك فإن الدعاة إليها كما ذكر الشيخ هم أضعف وأوهى وأهون وأحقر وأدنى.

(والعامي من الموحدين يغلب ألفًا من علماء هؤلاء المشركين قال تعالى ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾[الصافات:١٧٣] فجند الله هم الغالبون بالحجة واللسان كما هم الغالبون بالسيف والسنان) نعم فإن الله تعالى يجري على الله ألسنة رسله وأتباعهم الحجة والبيان حتى تنقطع العذر عن العباد ومن تأمل ما جرى بين إبراهيم عليه السلام وبين أعداء التوحيد من ذلك رأى أن حجته عليه السلام قطعت العذر كما في مجادلته مع النمرود بن كنعان ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لا يَهْدِي

الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾[البقرة:٢٥٨] وكما في محاجة موسى عليه السلام مع فرعون في أول سورة الشعراء لما قال فرعون ﴿... وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾[الشعراء:٢٣] إلى آخر الآيات.

(وإنما الخوف على الموحد الذي يسلك الطريق وليس معه سلاح) نعم وهذا شأن كثير من الناس أنهم يطالعون في الشبهات ويتلقون عن أهلها وهم ليس عندهم العلم الذي يحفظ أديانهم ويصون عقولهم عن هذه الشبهات، وكثر هذا في هذا الزمن الذي تعددت فيه وسائل الاتصال والتواصل والإعلام وانفتح الفضاء على الناس وصار كل يتكلم الجاهل والمغرض والمبطل وسائر الناس صاروا يتكلمون، والمتلقي في الغالب ليس عنده علم ولا حصانة ولا فهم فيسمع هذه الشبهات فتؤثر على عقله وفهمه ودينه، وما انتشرت المذاهب الردية ولا الأفكار المنحرفة إلا بسبب أن الناس ليس عندهم من العلم الشرعي ما يحفظ أديانهم وعقولهم وفهومهم.

(وقد من الله تعالى علينا بكتابه الذي جعله تبيانًا قال تعالى: ﴿... تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ﴾[النحل:٨٩]) القرآن فيه بيان لأصول الدين وفروعه وظاهره وباطنه وعلمه وعمله وهذا الأصل هو أصل أصول الدين هذا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله يقول إن النبي ﷺ بين أصول الدين وفروعه وظاهره وباطنه وعلمه وعمله وهذا الأصل هو أصل أصول الدين وهذا الأصل هو أحد أصول الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة وهو اشتمال القرآن والسنة على أصول الدين وفروعه قال تعالى: ﴿... وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ ...﴾[النحل:٨٩] وقال سبحانه: ﴿... مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ...﴾[الأنعام:٣٨] والكتاب هنا على أحد وجوه التفسير يعني القرآن الكريم، وجاء في صحيح مسلم أن اليهود قالوا لسلمان الفارسي لقد علمكم نبيكم ﷺ كل شيء حتى الخرارة يعني آداب قضاء الحاجة، وجاء عند ابن ماجه أن النبي ﷺ قال: (تركتكم على المحجة البيضاء ليلها ونهارها سواء) وجاء أن أبا ذر رضي الله عنه كما عند أحمد أنه قال: لقد توفي رسول الله ﷺ وما طائر يطير بجناحيه إلا ترك لنا منه علمًا، إذن فالإسلام والشريعة موصوفة بالكمال ﴿... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ...﴾[المائدة:٣] هذا الكمال لا يراه ولا يبصره إلا من أقبل على القرآن والسنة وعظمهما وأخذ بهما ونهل من معينهما أما من أعرض عن القرآن والسنة فإنه يحرم من ذلك النور ولهذا يتخبط بين أقوال الرجال وبين شيوخ الضلال وبين المنامات والحكايات والقصص وغير ذلك بل وصل الحال بالبعض إنه صار يقرأ في كتب اليهود والنصارى في كتبهم سواء كانت من إنتاج عقولهم أو من كتبهم المحرفة، وهذا غاية الإعراض عن كتاب الله وعن سنة رسوله بل منهم من أصبح يتزين

بذكر أقوال الفلاسفة ونحوهم من علماء الكلام ويظن أن هذا من الزينة والفخر وهذا في الحقيقة فيه إعراض عن الكتاب والسنة، وقد ذكرت لك قبل قليل أن أهل الباطل عندهم علوم لكن هذه العلوم هي العلوم التي لا تنفع وهي التي استعاذ منها النبي ﷺ، ولهذا المؤمن الموفق هو الذي يقبل على القرآن الكريم حفظًا وتلاوة وتدبرًا وتدارسًا ويحرص على فهم معانيه وقراءة تفسيره والارتباط بذلك، ويحرص على السنة النبوية وحفظها وفقه معانيها هذا هو العلم الذي ينفع صاحبه في الدنيا وينفع صاحبه في الآخرة.

(فلا يأتي صاحب الباطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها ويبين بطلانها كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾[الفرقان:٣٣] قال بعض المفسرين هذه الآية عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة وأنا أذكر لك أشياء مما ذكر الله في كتابه جوابًا لكلام احتج به المشركون في زماننا علينا) نقف عند هذا لأن كلام المؤلف حول هذا الأمر سيطول.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.